

الجزائر في الكتابات الإستشراقية الأوروبية.

الكتابات الانجليزية نموذجا.

بن حميد فتحية.

fathia.bm@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2020/02/13؛ تاريخ القبول: 2020/06/06

Algeria in European oriental writings

.English writings are a model

Abstract

Algeria's strategic importance and its international standing, which is unique from the rest of the Arab and Islamic Maghreb countries in the modern era, have made it particularly relevant and studied by Europeans and English. Traveller's, sailor stories, spy statements, etc, In particular, during the colonial era, it was reflected in journeys that divided a pro-colonialist, a pro-Algerian, a sympathizer and a debtor of colonial politics.

Keywords : Orientalism ; Algeria ; English writings ; Nomads ; prisoners

ملخص:

إن أهمية الجزائر الإستراتيجية ومكانتها الدولية التي تفردت بها عن بقية دول المغرب العربي والإسلامي في العصر الحديث جعلها تحظى من قبل الأوروبيين والانجليز بصفة خاصة بالاهتمام والدراسة، وقد اشتملت الكتابات الانجليزية مذكرات الرحالة والأسرى وتقارير القتائل وانطباعات المسافرين وحكايات البحارة وإفادات الجواسيس وغيرهم، وتجسدت بصفة خاصة خلال العهد الاستعماري في الرحلات التي انقسمت بين مؤيد للاستعمار ومتحامل على الجزائريين وبين متعاطف معهم ومدین للسياسة الاستعمارية.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق؛ الجزائر؛ الكتابات الانجليزية؛ الرحالة؛ الأسرى.

مقدمة:

ببروز الجزائر كقوة في البحر الأبيض المتوسط وهيمنتها على تجارتها، وبعد فشل القوى الأوروبية في تفويض الجزائر والنيل من سيادتها أو تقزيم دورها في العلاقات الدولية، اقتنعت أوروبا عامة بضرورة إيجاد بديل عن الحرب والقوة، بديل أشد نفعا قادرا من وجهة النظر الأوروبية على تحطيم أسباب القوة والمنعة لدى العرب المسلمين، وعليه استلزمت المعرفة المتعمقة بالجزائر والإسلام وحضارتهم ودينهم وتاريخهم ولغتهم، فانطلقت جحافل من المستشرقين والقناصل والرحالة في الكتابة عن الجزائر وممهدين الطريق لبلدانهم للهيمنة والسيطرة.

وعليه تتجه دراستنا إلى تسليط الضوء على بعض النماذج من الكتابات الانجليزية عن الجزائر خلال العهد العثماني وفترة الاحتلال الفرنسي ثم المقارنة بينها وبين الكتابات الفرنسية.

أولا: رؤية الكتاب الأوروبيين للجزائر خلال القرنين 17 و 18م:

بدأت أوروبا تهتم بالجزائر مع نهاية القرن 16م، حيث ارتبط اسمها في سياق الاهتمام الفرنسي بصورة الشرق الذي كانت تمثله الدولة العثمانية وازداد هذا الاهتمام بتطور نزعة شغف الغربيين بالشرق مع بروز المذهب الرومانسي والرحلات الشرقية ولوحات المستشرقين، وساهم التقارب العثماني الفرنسي في ظهور التراكيب وتأسيس مركز الدراسات الشرقية في نهاية القرن 18م (الغالي غربي، عطا الله فشار، مارس 2017: 103)

إن أهمية الجزائر الإستراتيجية ومكانتها الدولية التي تفردت عن بقية دول الغرب الإسلامي في العصر الحديث جعلها تحظى من قبل الفرنسيين بصفة خاصة وبدول أوروبا بصفة عامة بإنتاج أدبي

وتاريخي وعسكري معتبر من ناحية الكم.(مولاي بلحميسي: موقف المؤرخين الفرنسيين، مجلة الدراسات التاريخية، جوان 1988، 102) وقد فسر تزايد الاهتمام الأوروبي بالتاريخ الجزائري وأحداثه بتزايد قوة البحرية الجزائرية في حوض البحر الأبيض المتوسط والذي كان دافعا قويا إلى تتبع كل ما يحدث في الجزائر ليصبح محل اهتمام ودراسة وتحليل للوصول إلى نقاط ضعفه واستغلالها لشن الغارات عليها.(الغالي غربي: 101)، فكانت الجزائر ضمن مجال الصراع المسيحي الإسلامي أي صراح بين حضارتين حضارة غربية مسيحية وشرقية إسلامية.

لم تكن هاته المؤلفات في القرنين 17 و18م بضرورة مخطط لها أو إرادية بل كانت من قبل أسرى أرخوا لتاريخ أسرهم أو من شخصيات دبلوماسية تعاملت من العثمانيين كالقناصل والسفراء ورجال الدين المسيحيين(مذكرة ماجستير) وحتى الجواسيس في إطار التحضير لاحتلال الجزائر وكذا كتب الرحالة المستقرين بالجزائر لأهداف علمية واستكشافية دونوا خلالها مشاهداتهم وملاحظاتهم اليومية (غربي، 2017: 104)

وما تجدر الإشارة إليه أن الكتابات التاريخية قبل الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م انتهجت مبدأ إثارة الرأي العام الأوروبي والمسيحي للتحرك من أجل وضع حد لمعاناة المسيحيين في الإيالة الجزائرية ، الذين يتعرضون بها على حسب ادعاءاتهم وزعمهم إلى التهديد والإكراه على اعتناق الإسلام ، وقد أدت العديد من الجمعيات اللاهوتية المدعمة من الكنيسة وأشهرها جمعية الافتداء المسيحية أدت دورا بارزا في تأجيج روح الكراهية والتعصب والانتقام ضد كل ما يمت بصلة إلى الجزائر والإسلام (بلحميسي،الأصالة، 1981: 76)

وبالإضافة إلى هذه التصنيف الوصفية لايالة الجزائر نجد الدراسات حول السياسة الجزائرية في هذه الحقبة فعرضت فيها مختلف المشاكل كالتنظيم الإداري ونظام الحكم التركي والتعمير والدين والطرق الصوفية والقبائل واليهود والنصارى في الجزائر والعلاقات مع الدول الأجنبية (بلحميسي، المؤرخون الفرنسيون: 72)

وهذا الترتيب للكتب والوقائع وقع وفقا لموضوعاتها الرئيسية ولكن الكتب التي ألقت عن الجزائر لم تنحصر في أغلب الأحيان داخل

نطاق الموضوع المحدد لها تحديدا دقيقا، أما عن القيمة الإخبارية لهذه المؤلفات وعلى الرغم من النقص الكثير والأحكام المسبقة الخطيرة التي تشمل عليها والتي تتعرض لذكرها فإنها مصدر لا غنى عنه لتاريخ بلدنا، كون المصادر الإسلامية نادرة والمصادر التركية عن الجزائر لا تتخطى القرن 17م.

إن تتبع الوثائق المكتوبة عن القرن 18 و 19م لا سيما الفرنسية منها نجد أن تركيز اهتمامها على عهد البايبربايات وعلى القرصنة وعمليات التلصص (حسب رأيهم) في عرض البحر الأبيض المتوسط وعلى استعباد النصارى وعلى إقامة الأسرى الأوربيين في مدينة الجزائر وعلى يؤسهم وشقائهم وعلى أوجاعهم وألمهم وعلى افتداء الأسرى وعلى جمعيات الافتداء (مرجع بالفرنسية) وعلى حياة التجار والرهبان المبشرين بالنصرانية وعلى عدم ثبات أصلهم وعلى دور آباء جمعيات الثالوث الأقدس وآباء جمعية القديس لازار والكاردينال لافيجري.

وهكذا تم وصف الجزائر خلال العهد العثماني في أبشع الصور، وقد لخصها الأستاذ بلحميسي مولاي بقوله: " فالجزائر في مؤلفاتهم جحر اللصوص وعش الصعاليك وجحيم النصارى وجمهورية قطاع الطرق وحكام البلاد غيلان إفريقيا وهم أهل استبداد معدمو الأخلاق همهم الوحيد هو طلب اللذة ونهب الأموال وأما رياس البحر وعظام البحرية فهم المتعطشون للدماء وهم رعا ع القوم وحثالة الأتراك وهم القراصنة الناهبون" (مولاي بلحميسي: موقف المؤرخين الفرنسيين، 1983 (102):

وما تجدر الإشارة إليه أن مصدر هذه المغالطات والأحكام المغرضة على إيالة الجزائر العثمانية مردها عدة اعتبارات أهمها لطبيعة الظروف الدولية التي كتبت فيها وهي اختلال ميزان القوى في الناحية الغربية للبحر الأبيض المتوسط لصالح الجزائر في صراعها مع القوى الأوروبية المسيحية التي عجزت عن إلحاق الهزيمة بها مما دفع هذه الأخيرة إلى السعي للفوز بـود الجزائر ، إضافة إلى تأثر هؤلاء الكتاب بطبيعة العلاقات العدائية بين العالم الإسلامي والعالم الغربي مما انعكس على مصداقية تحليلاتهم التي بقيت حبيسة الروح العدائية والتعصب الديني. (غربي، 2017: 04)

والواقع أن هذه الكتابات كانت بعيدة كل البعد عن الموضوعية والحقيقة وغلبت عليه المغالطات والبهتان، هدفهم ترغيب أتباعهم للعطف على الأسرى لجمع الأموال لتحريرهم، فالمبالغة في وصف القسوة والرعب قادرة على تليين القلوب.

ثانيا: الاستشراق الانجليزي في الجزائر:

اشتملت الكتابات الانجليزية عن الجزائر مذكرات الرحالة والأسرى وتقارير القناصل وانطباعات المسافرين وحكايات البحارة وإفادات الجواسيس، إلا أن ما تجدر الإشارة إليه أن التعرض بالدراسة إلى هذه الدراسات في بضع صفحات ضرب من المحال لاتساع الموضوع وتشعب محتوياته فهو لوحده يصلح كأطروحة دكتوراه، وبناء على هذا فإننا سنعالج بعض النماذج حسب الأهمية من جهة ومن جهة أخرى حسب توفر المادة العلمية.

01- خلال العهد العثماني:

تميزت الكتابات الانجليزية عن شمال إفريقيا قبل القرن 17م بالقلّة، وأهمها كتابات موريسون وساندرسون وبيديليف وليثاغو وباونت وآخرون ، ويرجع شح المصادر والمعلومات الانجليزية عن المغرب الإسلامي إلى اهتمام الكتاب الانجليز بالدولة العثمانية باعتبار مصدر القوة ولاسيما أن الشرق كان يعتبر دائما منطقة تجارية تستقطب إليها التجار الانجليز ، لذلك فإن أغلب المصادر الانجليزية التي تناولت الجزائر خلال القرن 16م هي أعمال ترجمت عن لغات أوروبية أخرى.(قرباش بلقاسم، الأسرى الأوروبيون، 2016: 111)

ففي النصف الأول من القرن 16 م نجد أغلب المصادر المتوفرة عن الجزائر كتبت باللغة اللاتينية ثم ترجمت إلى باقي اللغات الأوروبية ، فالكتيب الذي ألفه الفارس السير نيكولاس ديرون دو فليغانيون St JohnNicholas Durand de Villegnon أحد المشاركين في الحملة الاسبانية على الجزائر سنة 1541م والمعنون ب Carlo V Emperoris Expeditio in African ad Algerian، ترجم من الفرنسية إلى الانجليزية سنة 1542م تحت عنوان: " مرثية

ورسالة حزن من الضروري على كل رجل مسيحي قراءتها ".
(قرباش، الأسرى الأوروبيون، 111:2016)

اعتمدت المصادر الانجليزية على النموذج الأوروبي ومصادره خلال القرن 16م ، فلم يقوم الانجليز خيالهم المرهف فأوجدوا المسارح دون أي مؤرخين أو أي احتمال ديني ... فصوروا السكان المغاربة بالزني الانجليزي الصناعي بحيث أنه ولا أي مغربي في الدراما الاليزابيثية يوحى بالانتماء للإسلام ... فهؤلاء الكتاب الذين افتدوا من الأسر لم يكونوا موضوعيين لأنهم كانوا دانما معاقين بأولئك الكارهين والحاقدين على الإسلام " (قرباش: الأسرى الأوروبيون، 2016: 111، 112)

فكانت أول رواية انجليزية كتبت عن الجزائر للأسير توماس هاسيلتون سنة 1595م حيث أكد أن غارات البحارة المسلمين ضد المسيحيين ليست نتيجة التعصب الديني أو الاغتنام بل المحرك هو الانتقام من القراصنة المسيحيين الاسبان الذين كانوا يجهزون سفنهم ويوجهونها نحو سواحل الشمال الإفريقي ويمسكون بالعديد منهم ويسيرونها كعبيد لذلك اجتهد الجزائريون لملاحقتهم على أراضيهم وإذا سمحت لهم الفرصة يأخذون مسيحيين فإنهم يستعملونه بطرق مرغوبة " (عديدة الشارف، 2018: 24).

هذا وتعتبر رواية جوزيف بيتس (Josseph Pettis) إحدى أقدم الروايات إلى كتبها متحولون عن أسرهم ودخلهم إلى الإسلام حيث أسر سنة 1678م: "إن الجزائريين رجالا ونساء احتشدوا لرؤيتي ، فقد كانوا معجبين بي جدا بسبب شعر الكتاني (يميل إلى الأصفر) وجلدي الأحمر ، لقد سمعت البعض منهم يقول : ما أجمله من خادم ! وآخرون يقولون لم أرى في حياتي نصرانيا، اعتقدت أنهم يشبهون الخنزير (قال البعض) لكنني أرى الآن أنهم بنو آدم " (قرباش بلقاسم : الأسرى الأوروبيون، 2016: 117)

كما نشرت ماريا مارتين Maria Martin سنة 1808م روايتها ، إحدى أهم الروايات النسائية التي ألقت عن المنطقة، حيث قضت 5 سنوات في ولاية تنس (الشلف حاليا) كأسيرة بعد تحطم سفينتهم على سواحل الجزائر سنة 1800م، وتطرقت في مذكراتها للحياة اليومية للأسرى بمدينة تنس كما تحدثت عن طبائع سكان مدينة تنس وحياتهم

اليومية. (2: Martin, 1807) وأهم ما ذكرته عن سكان المدينة: "إن أغلب سكان تنس ذوي جنسية جزائرية وربما يكون وصف العادات والتقاليد معا ممتعا للقارئ فهم ذوو بشرة سمراء كسلاء ميالون للراحة ويلعنون الجنس البشري بكل الأوصاف، شكاكون لدرجة كبيرة كذابون غيرون وصوره شديد الجهل" (عديدة الشارف، 2018: 19) وتعرضت في مذكرته إلى مسألة حساسة وهي عواطف الكره التي يكنها المسلم للمسيحي فتؤكد أن الإسلام يحرض على قتل المسيحيين بل يمنح الجنة والفوز برضا الله لمن تمكن من قتل مسيحي في معركة (Martin, 1807: 49)

وتناولت الممارسات الجنسية السيئة التي كانت تسلط على الأسيرات المسيحيات قائلة: "لم يكن نادرا على المعذبين إجبارنا على تجريد أنفسنا والبقاء عراة ثم الوقوف لدقائق على أرجلنا في نار متأججة وفي أحيانا أخرى يدخلون الجمر والفحم في صدورهن ... وفي مرات كن ينثرن الرز المغلي على أجسادهن العارية ..." (قرباش بلقاسم دور الكتابات الغربية، 2014: 150، 151)

كما أن كتب الرحالة أدت دورا هاما في نقل صورة عن الجزائر للعالم الأوروبي، فأول رحلة تفاعل صاحبها مع الجزائر هي رحلة دالام (Dallam) سنة 1595م ويصف الرحالة سواحل مدينة الجزائر بنوع من الإعجاب قائلا: "هذا اليوم هو آخر يوم من شهر مارس لقد انبهرنا بالربيع فالأشجار مكسوة بالخضرة والحبوب والشعير والتفاح والبرتقال صغير على الأشجار ..." (قرباش بلقاسم: الأسرى الأوروبيون، 2016: 115)

ومع نهاية القرن 16م وبداية القرن 17م أصبحت الشعوب البريطانية أكثر تفاعلا من منطقة شمال إفريقيا، إذ جاء العديد من البريطانيين إلى الجزائر كلاجئين واستطاعوا تأسيس لوبي قوي بها، أما من ناحية الأعمال المنتجة والمعلومات المتوفرة عن الإسلام بانجلترا فأغلبها ترجمات عن لغات أوروبية أخرى تفاعلت شعوبها أكثر مع العالم الإسلامي. (قرباش: الأسرى الأوروبيون، 2016: 112-)

ف نجد كتابات ساموال براشاس Samuel Purechas طبع عليها التعصب العرقي والديني، فهو لم يزر يوما شمال إفريقيا لكنه في كتابه " حج براشاس " سنة 1613م هاجم بشدة في كتابه السادس

منطقة شمال إفريقيا: "إن السكان الواقعين بتونس وطرابلس الغرب وحوش، لصوص، جهال، خانون، نسانهم قبل الزواج قد يعيش في فجور حسب القائمة فالأب يكره ابنته والأخ يكره أخته، إن النوميدين خانون، سفاحون ولصوص" (قرباش: الأسرى الأوروبيون: 115)

هذا وتعتبر الفترة الممتدة من سنة 1689 إلى سنة 1750 م فترة نقدية لتاريخ النظرة الانجليزية للإسلام حيث تحول العلماء من الفحص الجدلي للإسلام إلى دراسة المجتمع الإسلامي وغيره نظرتهم من المجابهة إلى الدراسة اللاهوتية إلى التعايش مع الثقافة السياسية للدول الإسلامية، وكانت المخيلة الانجليزية تصور الإسلام بمصطلحات الأندلسيون المغاربة. (عديدة، 2018: 36)

وما لا يمكن إغفاله رحلة توماس شو سنة 1735م حيث تناول في الفصل الثالث من القسم الثاني من عمله معلومات هامة عن عادات وتقاليده الجزائريين ووصف مختلف مناطق الجزائر كعمل طبوغرافي فيؤكد: "أن المرأة في الاحتفالات الكبرى كانت تقوم بتقبيل يد زوجها كنوع من الإطراء"، كما أكد كره العرب للأتراك فهم يعلنون ضدهم ثورات، وبالرغم من أن شو كان قسا ملحقا بالفتنصالية الانجليزية بالجزائر إلا أنه كتب بنوع من العقلانية (Shaw; 427)

وفي نفس الاتجاه العقلاني في طرح قضية الأسرى في شمال إفريقيا تؤكد زوجة الفتنصل الانجليزي في استانبول مونتاغي بقولها: "... أعرف أنكم تتوقعون مني أن أقول أشياء خاصة عن العبيد، لكن لن أتحمّل التصفيق بحرارة للإنسانية التي يتعامل بها الأتراك مع أسراهم المسيحيين فهم لا يسيئون استخدامهم ... صحيح أن الأسرى لا يتلقون أي أجره لكنهم يستلمون ملابس جديدة كل سنة وذات قيمة عالية من تلك التي نمنحها لعبيدنا الذين هم في خدمتنا ..."

كما تعتبر مذكرات السيدة براغتون أحد أهم المصادر الانجليزية المهمة بوضعية المسيحيين في الجزائر أواخر العهد العثماني، حيث أنجزت عملها اعتمادا على مذكرات والدتها زوجة الوكيل والفتنصل الانجليزي العام في الجزائر من سنة 1806 إلى 1812م هنري ستانفورد بلانكي (Henry Stqnford Blqnckey)، إذ تميز عملها بأقل عصبية مقارنة بأقرانها الانجليز فقد تطرقت في إحدى فصولها

إلى دلائل إضافية للنوايا السلمية لداي الجزائر. (عديدة، 2018: 453 - 454)

ونجد المؤرخ جوزيف مورغان ألف كتابا ضخما طبع سنة 1731م وعنوانه: **"الكامل في تاريخ الجزائر"** ويقع في أكثر من 700 صفحة من الحجم الكبير وهو في مجلدين مجلد في تاريخ شمال إفريقيا عامة من أقدم العصور حتى بداية القرن 16م والمجلد الثاني وهو في تاريخ الجزائر خاصة من بداية العهد العثماني حتى زمن طبع الكتاب سنة 1731م ويحتوي على جزأين الأول من قدوم العثمانيين حتى تولي الحاج باشا الحكم سنة 1545م والثاني منه إلى بداية القرن 18م (أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، 2007: 313)

عاش مورغان سنوات طويلة في الجزائر وتولى بعض المهام في قنصلية بلاده في الجزائر في عهد القنصل البريطاني العام السيد روبير كول R.Cole الذي أقام في مدينة الجزائر لأكثر من 40 سنة، وكان على اطلاع واسع بأحوال المنطقة فقد كان يتقن قراءة وكتابة اللغة العربية ومطلع على التقاليد الإسلامية. (أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، 2007: 313)

ونجد جوزيف مورغان على غير سابقه ومعاصريه في غلبة نظرة التعصب والحدق على مدينة الجزائر خاصة والمسلمين عامة فوصفوها بعش العفاريت وملاذ قطاع الطرق، نجده أظهر إعجابه بالمدينة: "إنه من حق الجزائر أن تدعي التقدم والشرف ومن حقها أن تحتل مكانة بارزة بين أنبل مدن العالم أليست هي قائمة على أنقاض قيصرية" (أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، 2007: 321)

ويقول المؤرخ الانجليزي جوزيف مورغان بكل تعاسة كان من الصعب جدا إنهاء كل هذا ففي القائمة المطبوعة سنة 1689م يوجد 1600 سفينة انجليزية أسرت من طرف الجزائر بين 1677- 1688م ويمكننا الترجيح ما بين 7000 إلى 9000 أسير بريطاني بين رجل وامرأة أخذوا للعبودية في الجزائر خلال هذه السنوات (أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، 2007: 313)

إن عمل ريشترارد هولاكيت يمثل سابقة في الرحلات بعد أن عاد هولاكيت إلى انجلترا سنة 1588م بدأ في تحرير عمله الضخم الذي عنوانه ب **"الرحلات الأساسية..."** صدرت طبعته الأولى

سنة 1589م وفي سنة 1599م ظهرت النسخة الثانية، فيرى أن: "الجزائر هي عرش القرصنة ومفسدة التجارة ومركز العبودية... ومسكن شياطين البحر ووعاء المرتدين إلى الله وخونة بلدانهم" (قرباش بلقاسم: الأسرى الأوروبيون: 239)

وتجدر الإشارة إلى حضور الجزائر في الأدب والفن الانجليزي، فمع قصف أسطولهم ألفت مسرحيتين عن الجزائر إحداهما بعنوان: "سقوط الجزائر"، كتبت في ثلاث فصول لتمثل في المسرح للكاتب دولبي وقد عرضت هذه المسرحية أول مرة على مسرح خشبة المسرح الملكي الواقع في دريري لين في 19 جانفي 1825 والثانية بعنوان معركة الجزائر لمؤلفها بيكنز وفيها صور الجزائريين في صورة شياطين وجلودهم ذات لون نحاسي وتقاسمهم من الحديد وليس في قلوبهم ذرة من الشفقة والرحمة على عبيدهم المسيحيين أما طقسها فصور على أنه قطعة من الجحيم (حفاوي بعلي: دت: 169، 170) ولقب شكسبير وليام الجزائر في مسرحيته العاصفة تعتبر الجزائر موطن الساحرات والخارجين عن القانون (قرباش بلقاسم: الأسرى الأوروبيون في الجزائر: 280)

02- أثناء الاحتلال الفرنسي:

تملت الدراسات الإستشراقية الانجليزية حول الجزائر بعد نجاح فرنسا في مشروعها لأحتلالي في الرحلات خاصة، ومن أهم الرحالة الذين دونوا رحلاتهم في ربوع الجزائر ل. ج. سيقوين بعنوان: "جولات في الجزائر العاصمة وما حولها" (Seguin, 1876). حيث قرر سيقوين تكريس رحلته للحديث عن العاصمة وما حولها بدقة متطرقا إلى مناخها ووضع خريطة جغرافية للمباني الرئيسية فيها ولاسيما الرسمية منها، وفي الفصل الثاني يصف الحياة في المجتمع الجزائري والأوروبي فيقول: "إنه شيء مميز حقا أن تجد الحياة الشرقية والمدنية الأوروبية تعيشان جنبا إلى جنب". (عبد الله ركيبي، 2010: 117)

ويمتدح الرحالة سكان العاصمة الأصليين فيتحدث عن لباسهم وعاداتهم ويعترف: "بأنهم جنس متميز من البشر يحملون وجوها

وسيمة ذكية وملامح بنية اللون وعيونا معبرة في نظراتها وأنوفا معتدلة وأسنانا سليمة ولحي سوداء ولكن أكثر ما يميزهم هو تلقائيتهم الرائعة وشعورهم بالكبرياء إنك تشعر بمنابع الصحراء في خطواتهم الثابتة وهم يرتدون أسمالهم الممزقة وكأنها معاطف الملوك... (عبد الله ركيبي، 2010: 118)

ولم يغيب عن بال سيقوين الاهتمام بتاريخ المنطقة والأحداث التي تعرفها فتطرق في الفصل الرابع إلى ثورة المقراني بين سنتي 1870-1871 فأرجع سببها إلى تقديم فرنسا امتيازات لليهود بمنحهم الجنسية الفرنسية (قانون كريميو 1870)، مما دفع الجزائريين إلى الثورة وهو يجاري الرأي الشائع، ولكن الحقيقة أن هذا عامل من عوامل كثيرة لأن الفرنسيين يركزون على جانب واحد في كل ثورة يقوم بها الجزائريين متناسين طموح الشعب الجزائري في الحرية والانعتاق. (عبد الله ركيبي، 2010: 121)

كما تناول التاريخ القديم للجزائر العاصمة مخصصا مساحة معتبرة لعرض والشعوب التي حكمت الجزائر عبر تاريخها الطويل كالوندال والرومان والفتح الإسلامي فيؤكد على دخول أهل البلاد في الإسلام بسرعة ودور عقبة بن نافع في تثبيت دعائم الإسلام، كما تحدث عن مناخها وساحلها، فقدم وصفا دقيقا عنها (Seguin, 1876: 1-8) وأفرد المؤلف فصلا كاملا للحديث عن الأمير عبد القادر ومنذ البداية ينوه بالأمير فيمتدحه منوها بدوره في تبديد الخطط الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ، متتبعا مراحل حياته ومبايعته من طرف سكان مدينة معسكر وقيادته المقاومة في الغرب الجزائري ، كما أكد على دور الأمير في إيقاظ الشعور الوطني لدى السكان المواطنين وتأسيس دولة جزائرية وبناء جيش جزائري. (Seguin, 1876 : 132-153) نلمس في الرحالة تعاطف مع الأمير وشرعية كفاحه لسنوات طويلة، و يعترف بعظمته قائلا: " لقد كان رجلا أجمع في عظمته أصدقائه وأعدائه على حد سواء " الأمر الذي لا نجده عند غيره من الغربيين K ولم يتوقف الرحالة عند مقاومة الأمير بل تتبع معظم المقاومات الواقعة في تاريخ كتابة رحلته كثورة بومعزة وبوبغلة والثورة في منطقة مليانة. (عبد الله ركيبي، 2010: 123)

لم يغفل الرحالة في رحلته السياسة الاستعمارية الهمجية المطبقة على الشعب الجزائري من ذبح وحرق للمنازل واغتصاب للأرض ، مشيرا إلى تزايد هذه الهمجية مع مجيء الجنرال بيجو وخصص مساحة لا بأس بها لزواوية سيدي عبد الرحمن ويؤرخ لهذا الولي الصالح ولحياته وتقواه ويختتم كتابه بهذه العبارة الجميلة: " هذه الأشياء الجميلة ضرورية للسلم والأمان اللذين ربما ستنعم بهما الجزائر في الغد وهما بالتأكيد أمنية كل هؤلاء الذين عرفوها وتعلموا كيف يحبونها ". (عبد الله ركيبي، 2010: 128)

وعلى العكس من هذا نجد رحلة الأنسة بيتيم إدوارد بعنوان : " في إفريقيا الفرنسية مشاهد وذكريات " صديقة المارشال مكماهون (حاكم الجزائر سنة 1864- 1870) الأمر الذي يعكس ولائها له وإعجابها بالمحتل الغاصب رغم أنها انجليزية .. فنجدها خصصت فصلا خاصا للحواة والبهلوانيين والمشعوذين تصف حركاتهم وألعابهم النارية والحركات البهلوانية مقابل تقاضي أجر من المشاهدين ، فهي نقلت المشاهد دون أن تكلف نفسها السؤال لماذا يفعل الفقراء ذلك مقابل دريهمات قليلة، ولم تكلف نفسها عناء البحث عن السبب وراء حالة الفقر والعوز التي وصل إليها هذا الشعب المعزول ، طبعاً لا تكلف نفسها كونها على دراية تامة أن الاستعمار الفرنسي وسياستها السبب المباشر (ركيبي، 2010: 189-192)

كما عالجت عادة صوم رمضان وكيف يفطر المسلمين في المساء كما رصدت صلاة المسلمين في المساجد جماعات لاسيما صلاة التراويح ولاحظت مساعدة الفقراء في هذا الشهر الفضيل ولو كانت تعرف عن الإسلام لفهمت أن من أهداف الصيام مساعدة المعوزين إلى جانب رمضان يعكس المساواة بين الناس. (ركيبي، 2010: 193).

غلب على الرحالة طابع الوصف ل مختلف ربوع الجزائر والإعجاب فأعجبت بالقبائل وسهول متيجة بأشجارها الساحرة والخيول العربية الأصيلة ، كما وصفت مدينة مليانة ، كما شغلته النساء بلباسها التقليدي فلفت انتباهها نساء سطاوالي فأثارته قضية الزواج من اثنتين وحاولت أن تعرف موقف الإسلام من الزواج بأكثر من واحدة كما أشارت إلى حديث شريف يوحى بالمرأة ووجوب احترامها وحسن معاملتها (ركيبي، 2010: 194)

خلاصة:

نلخص في دراستنا هذه إلى مجموعة من النقاط أهمها:

- ✓ تزايد الاهتمام الأوروبي بالتاريخ الجزائري وأحداثه بتزايد قوة رياس البحر في حوض البحر الأبيض المتوسط.
- ✓ كانت المؤلفات حول الجزائر في القرنين 17 و 18 أحيانا غير إرادية ومخطط لها كانت من قبل أسرى أو دبلوماسيين كالفناسة والسفراء ورجال الدين المسيحيين، أو مخطط لها لأهداف استعمارية كالجواسيس.
- ✓ انتهجت الكتابات التاريخية قبل الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م مبدأ إثارة الرأي العام الأوروبي والمسيحي للتحرك من أجل وضع حد لمعاناة المسيحيين في الإيالة الجزائرية.
- ✓ وصفت الجزائر خلال العهد العثماني في أبشع الصور، فلقبت ببحر اللصوص وعش الصعاليك وجحيم النصارى وجمهورية قطاع الطرق وحكام البلاد غيلان إفريقيا وهم أهل استبداد معدمو الأخلاق وأما رياس البحر فهم وحوش متعطشة للدماء.
- ✓ تميزت الكتابات الانجليزية عن شمال إفريقيا قبل القرن 17م بالقلّة، وأهمها كتابات موريسون وساندرسون وبيدليف وليثاغو وبلونت وآخرون.
- ✓ من أهم مذكرات النساء الأسيرات مذكرة ماريا مارتين **Maria Martin** سنة 1808م روايتها، والتي إحدى أهم الروايات النسائية التي ألّفت عن المنطقة.
- ✓ تجسدت الدراسات الإستشراقية الانجليزية حول الجزائر بعد نجاح فرنسا في مشروعها الاحتلالي في الرحلات خاصة.
- ✓ انقسم الرحالة الانجليز في موقفهم من الاستعمار إلى اتجاهين، الأول متعاطف مع الجزائريين ومنادين بالسياسة

الاستعمارية الفرنسية بالجزائر، في حين آخرين تحاملوا على
الجزائريين وأيدوا الاستعمار وهيئته.

المصادر والمراجع المعتمدة:

-أبو القاسم سعد الله. (2007) " أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر " ، ج
1، دار البصائر ،الجزائر، طبعة خاصة.

-بلحميسي مولاي. (1981) " المؤرخون الفرنسيون والجزائر في
العصر العثماني " مجلة الأصالة، العدد 14، 15.

-بلحميسي مولاي. (جوان 1988) " موقف المؤرخين الفرنسيين من
الجزائر في العهد العثماني "، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر.

-حفناوي بعلي .(دت) " صورة الجزائر في عيون الرحالة وكتابات
الغربيين "، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

-عبد الله ركيبي (2010) "الجزائر في عيون الرحالة الانجليز " ، ج
1، دار الحكمة ، الجزائر ، د ط .

عديدة الشارف (2018). " الكتابات الغربية حول تاريخ الجزائر خلال
فترة التواجد العثماني 1515- 1830 "، مجلة كلية التربية الأساسية
للعلوم التربوية الإنسانية، جامعة بابل ، العدد 39

-الغالي غربي، عطا الله فشار (مارس 2017). " المدرسة التاريخية
الفرنسية وموقفها من الوجود العثماني في الجزائر "، مجلة دراسات
وأبحاث (المجلة العربية في العلوم الإنسانية، العدد 26.

L.G.Seguin.(1876) " **Waljs in Algiers** ",Daldy isbister anoco,
London -

-Maria Martin.(1807) " **history of the captivity and
sufferings of Maria Martin who was six years a slave in
Algiers** " , Boston Printed for W.Crart, 1807

-Thomas Shaw " **travels and relating to several parts of
barbary and the levent** ", 2 édition, Oxford,

للإحالة على هذا المقال:

- فتحية بن حميد، (2021)، « الجزائر في الكتابات الإستشراقية الأوروبية. الكتابات
الانجليزية نمونجا». **المواقف**، المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص.ص 794-
808.